الإشكالات الاجتماعية والقانونية للعنف الرمزي في التلفزيون ...

أ.حمام فاروق
جامعة الجلفة

ملخص :

يرى بورديو في الكتاب «الحقل الصحافي» من الداخل والخارج: بدءاً من طريقة الحصول على الخبر ومعالجته، مروراً بالنشرة الإخبارية التلفزيونية التي يصفها بـ«منتج غريب» يناسب الجميع، وصولاً إلى البرامج الحوارية «التمثيلية» التي تستضيف أشخاصاً لا علاقة لهم غالباً بالموضوع المطروح للنقاش، ولا يتساوون في معلوماتهم. «عندما تكتب صحيفة معنية عن كتاب، ستجد صحيفة ثانية نفسها مجبرة على عرض الكتاب ذاته، حتى لو كان سخيفاً. كذلك الأمر لدى الكتابة عن معرض فني أو مسرحية....

Critique Bourdieu dans le livre «champ journaliste» de la maison et à l'étranger: de la façon d'obtenir des nouvelles et traitées, grâce à notre télévision bulletin, qu'il décrit comme «étrange produit» unique, à la talk-shows «représentant» qui accueille les gens qui ont rien à voir souvent sujet à Pour discussion, et ne sont pas égaux dans leurs informations. "Quand vous écrivez un journal sur un livre, vous trouvez un deuxième journal qui est forcé de montrer le livre lui-même, même si c'est ridicule. Il s'agit aussi d'écrire sur une exposition ou une pièce de théâtre. .

يقدم "بيار بورديو" هذا المثل البسيط ليبرهن تشابه وسائل الإعلام في مضمونها، على رغم التعددية الظاهرة. هذا التشابه سببه دورة الخبر حول نفسه: ينشر في جريدة، فيتلقفه صحافي في مؤسسة إعلامية ثانية، ويتابعه مضيفاً إليه تفصيلاً صغيراً قد لا تكون له أي أهمية. وهو يفعل ذلك من دون أن يكلّف نفسه عناء البحث عن خبر آخر...

ويردّ بورديو هذا السلوك إلى «المنافسة» بين الصحافيين. منافسة تعزز حالة الطوارئ، وتجعلهم يأتون بخبر خاطئ أو يقدمونه بطريقة تسبب ذعراً: «أتمنى أن يسمع الصحافيون ما يقولونه، هم الذين يرمون كلماتهم بكل خفة، من دون أن يكون لديهم أدنى فكرة عن خطورة ما يقولونه، والمسؤوليات التي يجب عليهم تحملها... كلماتهم تثير الخوف والهواجس، وتؤدي في معظم الأحيان إلى تشكيل صور خاطئة عن الحقيقة ما يخلص إليه: التلفزيون وعدد كبير من الصحافيين، هم "معادون للثقافة"، ويمارسون «عنفاً رمزياً» على المشاهدين.

بداية لا شك في أن التلفزيون أصبح يلعب دوراً أساسياً ومهماً في حياتنا، من خلال المتابعة اليومية لما يبث من خلاله من برامج وأخبار ومشاهدات مرغوب فيها وأخرى غير مرغوب فيها وما لبث وأن أطلق البعض على هذا الجهاز "بالضيف الاجباري. "

ومن غير المبالغ فيه أن نقول بأن التلفزيون يساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في تربيتنا لأولادنا وإعدادهم للمستقبل القادم و على هذا الصعيد أود أن أشير ألي سلسلة من الآليات التي تثبت أن التلفزيون يمارس نوعاً من "العنف الرمزي" المفسد والمؤذي

وأبرز مظاهر هذا العنف أن التلفزيون يملأ أوقات الناس بالأشياء غير الهامة و غير الضرورية وهو يستهلك زمنهم في قول أشياء تافهة تخفي في الحقيقة بالقدر نفسه الأشياء الثمينة ، وبهذا المعني فان التلفزيون يسهم في تدمير الوعي حينما ينشر وعياً زائفاً أو يحجب المعلومات عبر لعبة اسميها "لعبة المنع بواسطة العرض. "

تبدو الأشياء أقل وضوحاً في التلفزيون أثناء عرضها وهنا وجه من وجوه التناقض : أشياء يتم إخفاؤها عن طريق عرضها أو "بواسطة عرض شئ آخر غير ذلك الذي يجب عرضه " والطريف هنا أن الصورة التي يقدمها التلفزيون ويقوم بتضخيمها

ويمنحها صفات درامية وتراجيدية ، وإنما يفعل ذلك باستخدام كلمات كبيرة فالكلمات المعتادة لا تثير دهشة أحد وبهذا تهيمن الكلمات علي الصورة فالصورة لاتعني شيئاً دون التفسير للذي يجب أن تتم قراءته

ينطلق بورديو من فكرة أن التلفزيون يشكل راهناً أداة للقمع الرمزي (نظراً للمستوى الثقافي أو المعرفي المتدنِّي للمشاهدين الذين يميلون إلى تصديق ما يعرض عليهم بعامة). وهو يأمل في أن يتحول التلفزيون إلى أداة للديمقراطية المباشرة لو تم رفع المستوى العلمي للمشاهدين وتقوية استقلالية التلفزيون عبر إدراك العوامل التي تعمل على ضرب تلك الاستقلالية. و العوامل غير المرئية التي تُمارَس الرقابة من خلالها تجعل من التلفزيون أداة عظيمة لتثبيت النظام الرمزي (تواطؤ المتلقِّين والذين يمارسونه). وهكذا يغدو التلفزيون أداة لخلق الحقيقة وللتحكيم الاجتماعي والسياسي، وليس، كما يُدَّعى، أداة لتسجيل الواقع. وهو ليس ملائماً للتعبير عن الفكر أو الرأي؛ إذ يمنح أهمية للتفكير السريع وللغذاء الثقافي السريع المقترن بأفكار مسبقة.

ان عالم الاجتماع الفرنسي "بيار بورديو" كان مثقفا مشاكسا انخرط في الصراع الاجتماعي السياسي في فرنسا،و ترك بصمات واضحة على مشروع نقد العمل الإعلامي، والتلفزيوني خصوصاً.

- الفرع الثالث : العنف الرمزي الممارس اعلاميا

ينتقد بورديو في الكتاب «الحقل الصحافي» من الداخل والخارج: بدءاً من طريقة الحصول على الخبر ومعالجته، مروراً بالنشرة الإخبارية التلفزيونية التي يصفها بـ«منتج غريب» يناسب الجميع، وصولاً إلى البرامج الحوارية «التمثيلية» التي تستضيف أشخاصاً لا علاقة لهم غالباً بالموضوع المطروح للنقاش، ولا يتساوون في معلوماتهم. «عندما تكتب صحيفة معنية عن كتاب، ستجد صحيفة ثانية نفسها مجبرة على عرض الكتاب ذاته، حتى لو كان سخيفاً. كذلك الأمر لدى الكتابة عن معرض فني أو مسرحية....

يقدم "بيار بورديو" هذا المثل البسيط ليبرهن تشابه وسائل الإعلام في مضمونها، على رغم التعددية الظاهرة. هذا التشابه سببه دورة الخبر حول نفسه: ينشر في جريدة، فيتلقفه صحافي في مؤسسة إعلامية ثانية، ويتابعه مضيفاً إليه تفصيلاً صغيراً قد لا تكون له أي أهمية. وهو يفعل ذلك من دون أن يكلّف نفسه عناء البحث عن خبر آخر...

ويردّ بورديو هذا السلوك إلى «المنافسة» بين الصحافيين. منافسة تعزز حالة الطوارئ، وتجعلهم يأتون بخبر خاطئ أو يقدمونه بطريقة تسبب ذعراً: «أتمنى أن يسمع الصحافيون ما يقولونه، هم الذين يرمون كلماتهم بكل خفة، من دون أن يكون لديهم أدنى فكرة عن خطورة ما يقولونه، والمسؤوليات التي يجب عليهم تحملها... كلماتهم تثير الخوف والهواجس، وتؤدي في معظم الأحيان إلى تشكيل صور خاطئة عن الحقيقة ما يخلص إليه: التلفزيون وعدد كبير من الصحافيين، هم "معادون للثقافة"، ويمارسون «عنفاً رمزياً» على المشاهدين.

فالرجل يرى أن العمل التلفزيوني مبني على السرعة، لذلك ليس هو المكان الأفضل للتفكير. من هنا، يتم اللجوء في المقابلات المتلفزة إلى «مفكرين سريعين (fast thinkers) يحملون أفكاراً مسبقة عن الموضوع المطروح، «ولا خوف من مشكلة في التلقي، لأن هذه الأفكار المسبقة يعرفها الجمهور الذي يحصل على وجبة FAST FOOD... ثقافية.

ويبني بورديو نظريته على تجربة شخصية استطاع خلالها اكتشاف عمل المقدّم غير المثقف: «شاركت أكثر من مرة في مقابلات، أعدت خلال طرح السؤال على نفسي، حتى أتمكن من مقاربة الموضوع الذي يرغب المذيع في مناقشته. كنت أكرر للمقدم «سؤالك مهم بالتأكيد، لكني أعتقد أنه في هذه الحالة هناك ما هو أهم منه»... وهو يكرّر شكواه من الصحافيين غير المثقفين الذين يذهبون لتغطية خبر معين، فيفاجأون برؤية أشياء غير مفاجئة أو العكس. فهم يسقطون رؤيتهم الخاصة على الحدث، علماً بأن علماء الاجتماع أنفسهم لا يستطيعون ادعاء ما يدعيه هؤلاء: «إن واحدة من أكبر

المشاكل التي تعترض علماء الاجتماع، هي تجنبهم السقوط في أحد هذين الوهمين في معرض تحليلهم لظاهرة معينة: القول بأنها الأولى من نوعها، أو إنها تتكرر دائماً». وهذا ما يردده الصحافيون على الدوام «وهنا يكمن خطرهم، فهم غير مثقفين، ولا تعني لهم الظواهر الاجتماعية الحقيقية شيئاً». لكنهم رغم ذلك يمارسون تأثيراً كبيراً وسلطة مطلقة على مختلف الحقول الاجتماعية: السياسية والقضائية والنقابية وأحياناً على من هم أرفع مستوى منهم، وذلك بسبب احتكارهم لآليات إنتاج المعلومة ونشرها أو إضفاء الشرعية على الضيوف الذين يحظون بإطلالة متلفزة.

غير أن الصحافي ليس وحده المسؤول بل «الحقل الصحافي» بكامله. ويرفض بورديو أي محاولة لتحليل سلوك صحافي معين أو وسيلة إعلامية محددة، بعيداً من زملائهما، «لا يمكن أن نفهم ما الذي يحدث في TF1 بمجرد القول إن شركة BOUYGUESهي من يملكها. هذا سبب لكنه ليس وحيداً، يجب أن نأخذ في الاعتبار مجموعة العلاقات الموضوعية التي تؤسس الحقل الصحافي بكامله.

حين انتقد بورديو التلفزيون،(1) كان يتحدث ضمن سلسلة محاضرات متلفزة نظمها آنذاك «كوليج دو فرانس». أي إنه استعمل بدوره شاشة التلفزيون، لكن ضمن شروط تناسبه لجهة اختيار الموضوع، وامتلاك الوقت الكافي لمناقشته. ولأنه بدأ محاضرته بالتأكيد على أن امتلاك المواطن للمعلومة هو الذي يتيح له ممارسة حقوقه الديمقراطية، فقد طالب بمحاربة الـ Audimatنسبة إقبال المشاهدين الذي يعزز ثقافة الـ"فاست فود". كما عبّر عن أمله بأن تنشأ، داخل الجسم الصحافي، علاقات بين الصحافيين تساعد في التخفيف من التأثير السلبي للأدوات التي يمتلكونها. وقدّم مثلاً: "في قضية خطف الأطفال (التي يُتّهم فيها المهاجرون غالباً بشكل أوتوماتيكي) يمكننا أن نتخيّل، أونحلم، أن يتفق الصحافيون على عدم استضافة زعماء سياسيين معروفين بمواقفهم المسبقة ضد الأجانب."

يقول بيار بورديو في كتابه «التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول»: «أحد المشاكل الكبرى التي يطرحها التلفزيون هي العلاقة بين التفكير والسرعة. هل يمكن التفكير أثناء اللهاث بسرعة؟ وهكذا حصل التلفزيون على مفكرين (على السريع)، عندما أعطى مجال حديث المفكرين أجبرهم على أن يفكروا بسرعة متزايدة. مفكرون يفكرون بأسرع من ظلهم.

مشكلة السرعة حولت العلاقة بين التلفزيون والصحافة إلى علاقة انتفاعية، الغلبة فيها حكماً للتلفزيون كونه الأوسع والأسرع انتشاراً. ففيما تعمل الصحافة بتأن زمني يستهلك على الأقل 24 ساعة بين تحضير المواد للنشر والطباعة، تدور عجلة البث التلفزيوني كالمطحنة في عملية محو وتسجيل يومي للذاكرة. فكل نشرة أخبار تمحو ما سبقها لتسجل أحداثاً جديدة، تتطلب مجموعة من البرامج المواكبة تحليلاً وتفسيراً. وتحت ضغط الوقت، لا مناص من اللجوء إلى الصحافة، سواء من جانب الاستعانة بالأفكار، أو في اختيار الأشخاص المناسبين لتحليل ما وراء الأخبار. فلا يمكن لأي معد برامج أن يبدأ يوم العمل من دون الاطلاع وبشكل آلي على عناوين الصحف والمقالات المكتوبة.

إن الموضوع الذي يعالجه بيير بورديو في هذا الكتاب يتعلق في مستواه المباشر بتحليل بنية و آليات أحد منتجات هذه التكنولوجيا الحديثة التي تعرف بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، لكن الموضوع غير المباشر (لكنه رئيس وأساس!) هو علاقة الإيديولوجيا بهذه التكنولوجيا. إذا كان من الممكن اعتبار أن العلم محايدٌ، فإن استخدامات العلم وتطبيقاتِهِ أي التكنولوجيا ليست محايدة. فيما يتعلق بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فإن التوظيف والمضمون الإيديولوجي لهذه التكنولوجيا يجد أوضح مثال له في الدور الذي يلعبه التلفزيون لا يقتصر الدور الخطير الذي يلعبه التلفزيون على التأثير المباشر على المشاهدين ولكن هذا التأثير يمتد كما يوضح بورديو في هذا الكتاب إلى مجالات الإنتاج الثقافي الأخرى وهو ما ينبّه إلى خطورته بشكل خاص..

1- لقد كثر الحديث عن »نهاية الايديولوجيات« و»نهاية التاريخ«، كما تم الترويج لنظرية صموئيل هنتنجتون المعروفة »بصدام الحضارات« الخ. ولكن الشيء المثير للدهشة والتعجب أن هذه المقولات التي روّج لها كثيراً في أوساط المثقفين ووسائل الإعلام خصوصاً بعد انهيار سور برلين والتحولات السريعة والعنيفة التي شهدتها دول شرق أوروبا، مروراً بحرب الخليج الأولى ثم أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من حرب واحتلال لأفغانستان والعراق، هي في حد ذاتها تعبير عن أيديولوجيا تدّعي السيادة والانتصار على الأيديولوجيات الأخرى!. أيديولوجيا تعبّر عن نزعات عنصرية وفاشية جديدة تمثل تهديداً حقيقياً للإنجازات الرائعة التي حققها الفكر الإنساني عبر مسيرته الطويلة.

مما لا شك فيه أن المواجهات الأيديولوجية التي كانت سائدة طوال فترة الحرب الباردة قد انتهت بصورتها القديمة، أي المواجهة وجهاً لوجه وسيادة الخطاب الأيديولوجي المباشر. لكن التحول الجديد الذي طرأ خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن المنصرم وحتى الآن هو انفراد ما يمكن أن نسميه بالأيديولوجيا الناعمة بموقع الصدارة في وسائل الإعلام المختلفة. » الأيديولوجيا الناعمة تتمثل فى تلك الجرعات اليومية بل اللحظية التى تبثها وسائل الاعلام»soft ideology« الحديثة وكذلك الوسائط المتعددة Multimediaوانتشار شبكة الانترنت على المستوى العالمي.

هذه الجرعات تتغلغل وتنساب إلى عقول المشاهدين والقراء والمستمعين ومستخدمي الوسائط المتعددة والانترنت الخ. بهدوء وبلا ضجيج على عكس ما كان يتم في السابق. إن المجال مفتوح الآن لعمل دراسات على التوظيف والمضمون الأيديولوجي لكل هذه الوسائل والأدوات وهو ما يقدم له بورديو نموذجاً منهجياً في هذا الكتاب. إن طريقة التحليل التي يقدمها بورديو هنا يمكن تطبيقها على مجالات أخرى.

إن وسائل الاداعة و التلفزيون في الأنظمة الغير الديمقراطية تصنف ضمن إطار الأجهزة المحافظة التي تسعى إلى توفير هيمنة السلطة على الجمهور الواسع من خلال تمرير ثقافة هجنة تسعى إلى تكريس ماهو قائم وتشكيل وعي يومي سادج لدى المتلقي وهدا هو صميم موضوع بورديو في كتاباته التي تنصب حول نقد البنية الوظيفية التقليدية في التلفزيون و التي يتم إخراجها بتخطيط من خبراء الداخلية/ الإعلام من داخل الكواليس و تمارس يوميا تحت عنوان إستراتيجية الإعلام في العهد الجديد.

المبحث الثاني: مفهوم نظرية بورديو وثياساتها الاعلامية

تعتبر نظرية العنف الرمزي من بين عدد من النظريات "الوسطية" التي قام بتشييدها عالم الاجتماع الفرنسي الشهير بيير بورديو Pierre Bourdieu(1930-2002) والتي تستمد إطارها المرجعي من النظرية العامة حول الهيمنة.

المطلب الاول: تعريف نظرية بورديو

حاول بيير بورديو تأسيس نظرية نقدية" متعددة المشارب: فلسفية، اقتصادية، لغوية، انثروبولوجية، سيكلوجية، تهدف الى تحقيق الهمينة في الحقول الاجتماعية،من خلال اعطائها شرعية.

وتأسيسا على ما سبق فإنه لا يمكن الحديث عن نظرية بورديو في العنف الرمزي إلا بالحديث عن منظومة مفاهيم مرتبطة بالنظرية العامة.

1- الممارسة الاجتماعية :تكتسب نظرية الممارسة الاجتماعية أهميتها في العلوم الاجتماعية والإنسانية بسبب قدرتها على كشف طبيعة الظواهر الاجتماعية والإنسانية المختلفة، بواسطتها يمكن تفسير التباينات الاجتماعية والثقافية(1) في آن واحد، كما يمكن تفسير ظواهرالسياسة والاقتصاد والثقافة والدين والفن والعلم ..دون أن تفقد النظرية مصداقيتها.

حاول بورديو أن يقدم حلاً للفجوة بين النظرة الذاتية للعالم الاجتماعي، والنظرة الموضوعية، وانتهى إلى أن العلاقة بين (الذاتي والموضوعي) علاقة جدلية متداخلة ومتشابكة ومعقدة، ولكي نفهم نظرية الممارسة عند بورديو فإن علينا أن ننطلق من تصوره للمجتمع ، فهو يراه على شاكلة فضاء (Espace) يتوزع فيه الأفراد والمؤسسات على عدد من المواقع التي تكتسب هويتها من خلال "بعدها العلائقي" أي من علاقاتها ببعضها البعض.

هذه الرؤية يشرحها بورديو في أحد نصوصه بقوله: يمكن أن نتمثل العالم الاجتماعي في شكل فضاء (ذو أبعاد متعددة) مبني على أساس مبادئ التمييز أو التوزيع المكونة من مجموعة الخصائص التي تعمل في العالم الاجتماعي... وهكذا فإن الأعوان ومجموعات الأعوان يُعرفون ويُحددون من خلال مواقعهم في هذا الفضاء ، فكل واحد منهم متموقع في موقع محدد أو في طبقة محددة من المواقع المجاورة (بمعنى في منطقة معينة من الفضاء) ويمكن أن نشغل في الواقع ، حتى وإن كان ذلك على مستوى الفكر ، منطقتين متعارضتين في الفضاء.

وعلى هذا "فبنية الفضاء الاجتماعي" عند بورديو تتسم بكونها بنية صراع فلا وجود لأي فضاء اجتماعي إلا بوصفه اختلافا وتميزا من جهة، وإلا بوصفه فضاء سلطة وسيطرة ، وفضاء مقاومات وصراعات مضادة، ينخرط فيها الناس معبرين عن إرادة القوة التي تعبر عن نفسها في نمط من الليبيدو ؛ (ليبيدو اجتماعي) بتعبير بورديو ، يدفعهم في إطار علاقاتهم الاجتماعية إلى الصراع إما من أجل المحافظة على مواقعهم الاجتماعية أو تغييرها وتحسينها.

وتتمركز نظرية الممارسة عند 'بورديو'من الثلاثية التالية (الحقل، والهابتوس، ورأس المال).

اولا: الحقل Field

يعرف بورديو الحقل بأنه: شبكة أو ترتيب للعلاقات الموضوعية بين الأوضاع، وتتحدد تلك الأوضاع في التقييدات التي تفرضها على من يحتلونها، أو الفاعلين، أو المؤسسات عن طريق موقفها الراهن، أو المحتمل في بناء توزيع القوة (أو رأس المال) التي تمكن ملكيتها من الوصول إلى منافع محددة تمثل موضوع الرهان في الحقل، وكذلك عن طريق علاقتها الموضوعية بأوضاع أخرى (الهيمنة، الخضوع، المماثلة) إلى آخره. (1).

وعن الحقول يقول بورديو بأنها: فضاءات مركبة من مواقع (أو مناصب) التي تعتمد خصائصها على موقعها داخل هذه الفضاءات.

وهذا يعني أن الحقول تشير إلى ميادين الإنتاج، والتداول، والاستيلاء على المنافع، أو الخدمات، أو المعرفة، أو المكانة، والأوضاع المتنافسة التي يحتلها الفاعلون في نضالهم من أجل مراكمة تلك الأنواع من رأس المال، فعلى سبيل المثال، يتحدث بورديو عن "الحقل الفكري" ليرسم صورة مصفوفة المؤسسات،ومنها المؤسسات الاعلامية والتنظيمات، والأسواق التي يتنافس فيها المنتجون الرمزيون مثل: الفنانون، والكتاب، والأكاديميون والصحافيون على رأس المال الرمزي ..

وهناك تطبيقات أخرى للحقل عند بورديو تتضمن الدراسات المعنية بأساليب حياة الطبقة الاجتماعية، ومؤسسات التعليم العالي، والدين، والأدب، وسياسة الإسكان.

ومع ما سبق فإن بورديو يتحديث عن "قوانين ثابتة" أو آليات عمومية تمثل خصائص بنائية فعلى مستوى أول تمثل الحقول ميادين للصراع من أجل السيطرة على مصادر القيمة، هذه المصادر يعبر عنها بورديو بأشكال من رأس المال عندما تصبح موضوع الصراع وتعمل "كعلاقة قوة اجتماعية" ويتمركز حقل الصراع حول أشكال معينة من (رأس المال:الاقتصادي، أو الثقافي، أو العلمي، أو الديني)، وبمعنى آخر تعتبر الحقول ميادين للصراع من أجل الشرعية، وبلغة بورديو من أجل الحق في احتكار ممارسة "العنف الرمزي".

وعلى مستوى ثانٍ تمثل الحقول "فضاءات" مبنية للمواقع المهيمنة والخاضعة،والتي ترتكز على أنماط وكميات من رأس المال، وفي هذا يشدد بورديو على أن المواقع في الحقول تتحدد عن طريق التوزيع اللامتساوي من رأس المال أكثر مما تتحدد عن طريق الغزو الشخصي لمن يحتلونها، ولابد من النظر إلى الحقول باعتبارها أنساق يعمل فيها كل عنصر معين (مؤسسة، أو تنظيم، أو جماعة، أو فرد) على اشتقاق عناصره المميزة من علاقته بجميع العناصر الأخرى.. وتتمثل الحقول ترتيبات علائقية "مقترنة بأحكام" حيث يعمل التغير في أحد المواقع على إزاحة الحدود بين جميع المواقع الأخرى؛ فحقل الصراع يحرض أولئك الذين يحتلون المواقع المهيمنة ضد أولئك الذين يحتلون المواقع الخاضعة. حيث في كل الحقول ثمة "صراع" بين الوافدين الجدد الطامحين إلى السلطة من اصحاب الرسائل الاعلامية القوية وتلك الأسماء المكرَّسة بين الداخل الجديد الذي يحاول أن يكسر أقفال حق الدخول والمهيمن الذي يحاول أن يدافع عن احتكاره ويبعد عنه المنافسة "

وعلى مستوى ثالث فإن الحقول تفرض على الفاعلين أشكالاً محددة من الصراع، تحظى بالشرعية بينما يتم استبعاد أشكال أخرى؛ فعلى سبيل المثال:فإن الإهانات الشخصية والعنف الجسدي يتم استبعادهما باعتبارها أشكلاً غير مهنية من الصراع،لكن تحدي درجة الموضوعية بوجهة نظر معارضة يعتبر تصرفاً مناسباً

وهذا ما جعل بورديو يشبه هذا الصراع بالتنافس في لعبة ما "الصراع يفترض اتفاقا بين المتنافسين على ما يستحق أن يكون مدارا للصراع، أي اتفاقا حول ما يصنع الحقل نفسه، كاللعبة والرهانات وكل المقتضيات التي يتم قبولها ضمنيا بمجرد الدخول في اللعبة دون أن يكون الداخل على علم بها " ومن ثمَّ فإن المتنافسين، المتصارعين لابد أن يحترموا قواعد اللعبة ومبادئ اشتغالها.

وفي مستوى يربط بورديو استقلال الحقل بمفهوم القوة الرمزية؛ وكلما نمت الحقول الثقافية (مثلا) باستقلال عن القوة السياسية والاقتصادية فإنها تحصل على القوة الرمزية؛أي بمقدرتها على تقنين الترتيبات الاجتماعية الموجودة، وبذلك تسهم في إعادة إنتاجها إلى المدى الذي تشرك فيه الفاعلين في استقلال الحقل، ويعتبر النسق التعليمي مثالاً لحقل ثقافي يحقق استقلالاً كبيراً نتيجة قدرته على ضبط توظيف أعضاء جدد، وعملية التنشئة، وسير الفاعلين، وعلى فرض أيديولوجيته المعينة.

ثانيا :الهابتوس Habitus

بعد أن تبين مفهوم الحقل، وخصائصه، وآليات اشتغاله، وقوانينه، نعرض الآن لمفهوم الهابتوس كأحد المفاهيم المركزية في علم اجتماع بورديو؛ لأنه يضمن التجانس بين تصور بورديو للمجتمع وتصور العون الاجتماعي الفردي.

تحيل كلمة الهابتوس في أصلها اللغوي وما يشتق منه إلى "ممتلكات الفرد ومكاسبه وقيمه بمعناها المادي والمعنوي (أي رساميله الاجتماعية الاقتصادية منها والرمزية) وقد تحولت في تفاعلات الحياة الاجتماعية – من خلال تمثلها الجسدي- إلى وجود وكينونة "

ويعتبر الهابتوس مفهوماً مشكلاً في استعمالات بورديو، ترجمه البعض بالخصائص الاجتماعية والنفسية، والخصائص الشخصية، والوسط المعيشي،والطابع، والطابع الاجتماعي الثقافي، والسمت، والسيمياء، والسجية، وبالعرف، وبالتطبع،و التعود، والعادة، والعادة المستبطنة، وبالانعواد أيضا. وهذه الترجمات كلها تُظهر بجلاء حالة كبيرة من عدم الاتفاق حول ما يمثله المفهوم في أصل كتابات بورديو من جهة، والحمولة النظرية الثقيلة التي يحملها الهابتوس من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة فربما ترتبط بعض تلك الترجمات بمفهومات فرعية للهابتوس ولذلك اقترح بعض الباحثين بالإبقاء على المصطلح كما هو، ونقله إلى اللغة العربية حرفيا خروجا من هذه الإشكالية.

يؤكد سوارتز Swartz أن غرض بورديو الأساس من مفهومه الهابتوس يتمثل في الاقتراح بأن الجسد المَنشَّأ(الذي ندعوه الفرد أو الشخص) لا يقف مقابل المجتمع، وإنما هو أحد أشكال وجوده.إن الصياغة المفاهيمية لدى بورديو لا تقابل الفرد والمجتمع باعتبارهما نوعين منفصلين –أحدهما خارج الآخر- لكن تعمل على بنائهما (علائقياً)..ويؤكد الهابتوس على التداخل المتبادل بين واقع الذاتية الفردية وواقع الموضوعية المجتمعية.

ويعرف بورديو الهابتوس على أنه نسق الاستعدادات المكتسبة ومخططات الإدراك والتقييم والفعل التي غرسها المحيط الاجتماعي داخل الفرد في زمان ومكان محددين. فالفرد يسلك في المجتمع وفقاً لهذا النسق المستبطن أو وفقاً لهذا اللاوعي الثقافي.(1) هذه الاستعدادت ليست فطرية –كما هو الحال في مفهوم الكفاءة عند تشومسكي – بل يكتسبها الفرد بفعل التنشئة الاجتماعية وتجارب الحياة ويتمثلها ، وإن كان هذا التمثل يحدث في آحايين كثيرة من غير وعي منه أو اختيار الأمر الذي يجعلها كما لو كانت فطرية ، فهو كما يقول بورديو " مورط في نسيان الاكتساب ، بل في وهم فطرية ما هو مكتسب وهذا ما يجعلها بهذا النحو بنية مبنية " تشتغل كليبيدو اجتماعي تاريخي ثقافي مكتسب، وما إن تتكون حتى تصبح دائمة فيهم، مميزة لهم، ترافقهم في مجرى تاريخهم، قد تغتني بتجاربهم التي تتخلل مسارات حياتهم من دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير كيفي لها، يمس ثوابتها البنيوية".

فتفضيلاتنا واختياراتنا وميولنا ورغباتنا وأذواقنا ما هي في الواقع إلا إحدى نتاجات ذلك الهابتوس الذي تكوّن فينا واكتسبناه ، وهذا الشكل من الاستعدادات لا يعمل فينا بشكل دائم وعلى صورة واحدة في كل المجالات والحقول ، بل هو قابل للانتقال من المجال الذي تكون فيه أصلا ليستمر في الاشتغال في حقل آخر بتطبع آخر، ويضرب حيمر مثالا على ذلك بالأب" في أسرة ما يحكم ممارساته المختلفة في مجالها تطبع أبوي ، غير أنه عندما ينتقل لأداء وظائفه في المجال الأكاديمي ، فإن ممارساته في هذا الفضاء الجديد لا يحكمها التطبع الأبوي ، بل يحكمها تطبع أكاديمي يعرف به الإنسان الأكاديمي ، يتميز به ويميزه عن غيره . ومع ذلك فإن التطبع الأول يبقى أثره ماثلا في اشتغال الثاني ، على الرغم من انمحائه أمام الثاني وتباعده عنه محتلاً الهامش في المجال الجديد "

تبدو بنية التطبع "الهابتوس" على هذا النحو وكأنها لا تختلف عن الحتميات الموضوعية ، والتي تحكم ممارساتنا وتعفي الفاعل من أي قدرة على تجاوزها، غير أن بورديو يقطع الطريق على اعتراض كهذا ، وذلك بالتأكيد على أن بنية التطبع هي كذلك بنية بانية " منتجة ، فاعلة في العالم الخارجي ، يتم بها إدراك العالم وتقسيم امتداده وتصنيف عناصره ومكوناته ، وتسميتها ، فتصبح دالة وذات معنى ...تشتغل في الممارسة باعتبارها خطاطات للإدراك والتقييم والحكم والذوق ،ومبادئ منتجة لرؤى العالم ، منظمة للفعل" ، والذات ليست متلق سلبي فحسب ،بل لها اختياراتها ،لكنها تظل محدودة بحدود لا تتجاوزها.

لقد مكن هذا المفهوم بورديو من تفسير ذلك الانتظام والتوحد في السلوك الذي يلاحظ على ممارسات الفاعلين فالهابتوس هو "ذلك المبدأ المولد والموحد الذي يترجم الخصائص الباطنة والعلائقية لوضع ما إلى أسلوب في العيش موحد ،أي مجموعة موحدة من اختيارات الأشخاص والممتلكات والممارسات "لكن هذا الانتظام مرة أخرى لا يعود إلى خضوع قسري واعٍ لقواعد مكتوبة ومنصوص عليها ولا حتى عرفية ، بل إلى صورة ما سماه بورديو بالحس العملي ، أي التصرف وفق نشاط مقوعد من غير أن يكون التصرف نتاج الخضوع الواعي لتلك القواعد ، في صورة شبيهة بما يحدث في عالم اللعب الذي يستشهد به بورديو كثيرا حيث إن انتظامات أفعال اللاعبين في لعبة ما ليست بالضرورة نتاج الخضوع لقواعد وقوانين وضعها مشرع تلك اللعبة تتحدد بها كل حركاتهم وسكناتهم بل إن اللاعبين يتوافرون على حرية ارتجال واختراع أفعالهم لكنها تبقى محدودة بحدود اللعب ذاته "فلا شيء أكثر حرية ولا أكثر إكراها في الآن ذاته من فعل اللاعب الجيد فهو يوجد طبيعيا في

المكان الذي ستسقط فيه الكرة "وإن حرية الارتجال والاختيار هذه هي ما تجعلنا نفرق بين السلوك المتولد عن اتباع المعايير والقواعد وذلك المتولد عن التطبع فالأخير مهما كانت درجة خضوعه يظل أقل انتظاماً من الأول.

الرأسمال:

الرأسمال بمفهومه السوسيولجي لدى بورديو هو رأسمال اقتصادي (أي موارد اقتصادية ومالية لا متكافئة وميراث لخيرات اقتصادية وعلاقات سيطرة اقتصادية) وهو أيضا رأسمال ثقافي أي موارد ثقافية لا متكافئة (معارف، ومهارات،و تقنية وعلمية،وشواهد، وديبلومات، طريقة في الكلام والآداب الحسنة...ألخ) .

تعبر عن نفسها اجتماعياً في علاقات سلطة وسيطرة ثقافية، وهو في آن نفسه رأسمال اجتماعي، أي موارد لامتكافئة بين الناس في المجتمع فيما يتعلق بشبكة علاقاتهم الشخصية، علاقات تبادل الخدمات والتضامن والعون المتبادل بغيرهم في قضاء الحاجات وحل المشكلات، ماينتج منه مضاعفة تأثيرهم الشخصي ونفوذهم الاجتماعي، وسيطرتهم على غيرهم في نسق العلاقات الاجتماعية،وهناك الرأسمال الرمزي الذي يتعلق بمجموعة الطقوس التي لها علاقة بالشرف والاعتراف وهو في النهاية السمعة والسلطة التي يتمتع بها العون من خلال اكتسابه للأشكال الثلاثة الأخرى للرأسمال

وفي خضم العلاقات الاجتماعية التي هي علاقات تنافس وصراع وتفاعل وتبادل، تختلط هذه الأشكال من الرساميل، ويتحول بعضها إلى البعض الآخر، تحول أشكال الطاقة في الفضاء الفيزيائي.

وعلى ما سبق فإن توزع الأفراد في الفضاء الاجتماعي يتحدد حسب رساميلهم وفقاً لأبعاد رئيسة ثلاثة: حجم ما يحوزون من رأس المال الشامل بمختلف أنواعه، وبنية ووزن ذلك الرأسمال في جملة حيازتهم ، وأخيراً حسب التطور الزمني لحجم رأس مالهم وبنيته.

ويشرح بورديو هذا الأمر من خلال خطاطة رسمها في كتابه أسباب عملية وفيها نرى خطين متقاطعين يمثل العمودي منهما البعد الأول حيث يتوزع الأفراد من الأعلى إلى الأسفل حسب الحجم الإجمالي للرأسمال فالذين يمتلكون القدر الأكبر من الرأسمال الإجمالي المهيمن وهم مثلا في هذه الخطاطة - والتي تمثل المجتمعات الصناعية - من يجمعون أكبر قدر من الرأسمالين الاقتصادي والثقافي معاً يتموضعون في أعلى الفضاء الاجتماعي ، بينما يحتل الذين يملكون قدرا أقل موقعا أدنى وهكذا حتى نصل إلى أسفل الفضاء الاجتماعي حيث الأقل حظا والأقل نصيبا من أحد هذين الرأسمالين ، وفي المستوى الآخر فإن الأفراد يتوزعون أفقيا من اليمين إلى اليسار حسب بنية وتشكيل ووزن رأسمالهم في ذلك المجتمع ، وهنا يكون للرأسمال المهيمن في ذلك الفضاء الاجتماعي تأثيره .

ففي المجتمعات الصناعية يرى بورديو مثلا أن الذين يتسيدون الفضاء الاجتماعي – أولئك الحائزين على القدر الأكبر من الرأسمالين الاقتصادي والثقافي- يتوزعون أفقيا من اليمين إلى اليسار تبعا لوزن وبنية رأسمالهم في ظرفهم التاريخي والاجتماعي ذاك ، فأرباب العمل -وهم أغنى نسبيا في رأس المال الاقتصادي عنه في الثقافي- يتعارضون بشدة مع أساتذة الجامعات- والذين هم أغنى نسبيا في رأس مالهم الثقافي مقارنة بالاقتصادي – وبالتالي فهم يتموضعون إلى اليمين في ذلك الفضاء وبين تلك النخبة الأمر الذي يجعل منهم سادة ذلك الفضاء الاجتماعي من جهتين عمودية وأفقية ، بينما تقتصر سيادة أصحاب الرأسمال الثقافي على الجهة العمودية يشتركون فيها مع أصحاب الرأسمال الاقتصادي ، وبالتالي فهم نخبة سائدة من جهة مسودة من جهة أخرى .

غير أنه وفي الحقل الخاص فإن السيادة لا تكون إلا لأولئك الذين يمتلكون النصيب الأكبر من الرأسمال الخاص بذلك الحقل . فالأفراد مثلا داخل الحقل الثقافي لا يضعون اعتبارا لصاحب الرأسمال الاقتصادي مهما علا شأنه أو كان له نصيب ما من

الرأسمال الثقافي مادام أن أحدا ما يفوقه في حجم ما يمتلكه من ذلك النصيب. لكن الأفراد وهم يتوزعون في هذا الفضاء على النحو الذي شرحناه فإنهم - وهذا هو البعد الثالث - يملكون مع ذاك إمكانية تغيير مواقعهم وذلك بتحسين حجم رأسمالهم أو نسبته الأمر الذي يحدث نوعاً من الحراك الاجتماعي يترتب عليه تغييرات في أماكن السلطة والسيطرة الاجتماعية .

معتمداً على ما سبق يصل بورديو إلى أن ما نراه من اختلاف في استعدادات الأعوان داخل الفضاء الاجتماعي (أي في مقولات إدراكهم للعالم وتصنيفه والحكم عليه) وبالتالي في اتخاذ مواقفهم ، فإننا نجد تفسيره في ذلك الاختلاف الذي يكونون عليه في المواقع داخل الفضاء الاجتماعي وبالنسبة لرأس المال بنية وحجماً وتطورا ، فمواقع الناس وأوضاعهم تلعب دوراً مؤثراً في تشكيل استعداداتهم ومن ثم في مواقفهم واختياراتهم ، لكن هذه العلاقة ليست أحادية الاتجاه أو سلبية - وإلا لما كان بورديو مختلفا عن الاتجاهات البنيوية التي يحاول التملص منها ، بل هي علاقة متبادلة " تشتغل على نحو دائري رابطة بين اختلاف اتخاذ المواقف ، واختلاف المواقع الاجتماعية بتوسط اختلاف الاستعدادات . فاختلاف المواقع - واختلاف الشروط المادية والتاريخية لكل منها - ينتج لدى محتليها اختلافا مناسبا في الاستعدادات التي تنتج بدورها اختلافا في المواقف ووجهات النظر والممارسات العملية (من الفضاء الاجتماعي باعتباره نظاما من المواقع المتمايزة المختلفة) .

وإن هذا النوع من العلاقة على هذا النحو هو ما يقربنا من فهم أحد أهم الموضوعات التي شغلت بورديو كثيرا وهي مسألة العلاقة بين الذات والموضوع، ذلك أن بورديو وقد وسّع من نظرته للرأسمال حتى اعتبره كطاقة اجتماعية لا تنحصر في كونها رأسمال نوعي يتموضع في الأشياء والمؤسسات على شكل موارد وخبرات مادية بل يمكن تحويلها أو صرفها "وفق معدلات صرف معترف بها اجتماعيا" إلى رأسمال رمزي يتذوت في الأجساد على شكل موارد ذاتية ورمزية، أي على شكل استعدادات وقدرات للإدراك والفعل، فإنه بهذا الأخير (أي مفهوم الاستعداد) قد قارب تحديد شكل هذه العلاقة ، فالفرد ومن خلال استعداداته وقدراته على إدراك وتمييز هذا الاختلاف في العالم من حوله يستطيع تحويله إلى رموز ومعاني ودلالات تماما كما يحصل في عالم اللغة، وهنا يتمكن من احتوائه وفهمه ومن ثم إعادة بنائه على النحو الذي يسعى إليه إن محافظةً أو تغييرا".

المطلب الثاني :نظرية العنف الرمزي The theory of symbolic violence

يفهم بورديو العنف الرمزي على أنه آلية تشتمل على مجموعة من القواعد تكسب لنفسها صفة الشرعية حتى لا يلاحظها أحد بوصفها عنفاً، مغلفة نفسها بالرقة واللامرئية.لذا فإن أي سلطة أو نفوذ يلجأ إلى استخدام هذا النوع من العنف لفرض دلالاته الخاصة وشرعنتها إنما يمثل مجالاً ملغما بفخاخ السيطرة والتدجين وترسيخ ثقافة الغالب على المغلوب بحجب علاقات القوة التي تؤصل قوته الذاتية مما يكشف ما لحجم العلاقات الرمزية من حضور فعال وخطير في الوسط الاجتماعي.

وعليه فأن ممارسة العنف الرمزي مرهونة بوجود رأسمال رمزي متوج بسلطة رمزية تعبير عن مشروعيته التي تعني (المشروعية) قبول السلطة على أنها حقيقة من قبل من تمارس عليهم.

وفي كتابه "العنف الرمزي" يتناول بورديو في الفصل الأول(النشاط التربوي)باعتباره نوعا من العنف الرمزي الذي يتميز بسمتين تعسفيتين تتعلق الأولى بالجهة التي تتبناه، والثانية بالثقافة التي تريد فرضها؛ الأولى طبقية، والثانية مضمونية، حيث يعمل النشاط التربوي ضمن علاقات القوة بين الجماعات والطبقات التي تتألف منها التشكيلة الاجتماعية التي تميل إلى تأصيل النفوذ التعسفي وفق نمط تعسفي من الفرض والترسيخ (التربية).

لذا فإن النشاط التربوي يكتسب قدرته التعسفية من علاقات القوة المنعقدة بين الجماعات أو الطبقات المكونة للتشكيلة الاجتماعية حيث تمارس. ومن اسهامه غي معاودة إنتاج هذه العلاقات، أو ما يسميه بورديو بوظيفة معاودة الإنتاج الاجتماعية لمعاودة الإنتاج الثقافية؛ حيث تكتسب هذه الوظيفة أهمية بالغة فهي التي تتولى إعادة إنتاج البنية التي تحكم توزيع

الرأسمال الثقافي لترويجيه بين الجماعات أو الطبقات. ويكتسب النشاط التربوي قدرته التعسفية أيضاً من خلال معاودة إنتاجه للتعسف الثقافي الذي يرسخه.

والسلطة التربوية، في نظر بورديو، نفوذ قائم على العنف الرمزي؛ ففي الوقت الذي يقوم النفوذ التعسفي بتأصيلها فإنها تدعمه وتعمل على حجبه، وهذا هو الشرط الموضوعي لممارسة السلطة التربوية لنشاطها؛ أي أن تكون قادرة على إنتاج الغفلة الاجتماعية عن حقيقتها وجوهرها كعنف رمزي، حيث يعد النشاط التربوي أداة رئيسة لتجسيد علاقات القوة تجسيداً متسامياً في سلطة شرعية.مع الأخذ بنظر الاعتبار أن علاقات القوة تحدد "نمط الفرض الذي يميز نشاطاً تربوياً معيناً.

وذلك بوصفه نسقاً من الوسائل الضرورية لفرض نموذج ثقافي تعسفي ولتمويه ما لهذا الفرض من تعسف مزدوج؛ أي من حيث أنه مزيج من تقنيات العنف الرمزي، وتقنيات تمويه (شرعنة) هذا العنف،لذا تكتسب المرجعيات التربوية أو المرسلون التربويون أهلية وصلاحية لإبلاغ ما يريدون، فارضين على الآخرين تسلم رسائلهم، لأن المرسل إليهم مهيئين أصلاً للاعتراف بشرعية المعلومات المنقولة وبسلطة المرسلين التربوية، ومهيئين أيضاً لاستقبال الرسالة واستبطانها.

ومن ثمّ يأتي دور الهابتوس مرة أخرى لاستبطان تلك المبادئ التربوية التعسفية لإدامتها واستمرارها، وليمنح الممارسة التربوية أيضاًقابلية التناسل والتوليد على غرار الممارسات التعسفية السالفة.

أما في الفضاء المدرسي فإن الرموز والأشكال مبثوثة في كل تفاصيله، وهي تكون نسيج العلاقات المتشابكة بين الأعوان، إذ لكل موضع ما يستحق من الرموز ولكل عون عدة من الأشكال يقدم نفسه للمجتمع من خلالها. وهذا التمثل الذي يجعله الأعوان لأنفسهم وعن منازلهم وذواتهم وعن الآخرين في الفضاء المدرسي ليس محصلة اتفاق سياقي بين أعوان بل نتاجاً وتكريساً لنسق أسطوري رمزي قوامه التراتب.

وهناك دور ثان للأشكال والرموز في الفضاء المدرسي يكمن في جعل اعتباطية الشكل، الرمز واستبداده شرعيين. فإذا كان العنف الرمزي هو عنف يمارس في الأشكال/الرموز فإن نجاعتها لا تقاس فقط بوقع عنفها إنما أيضاً بمقدار شرعنة هذا العنف فيزداد وقعه وتتجذر آثاره في الوعي واللاوعي وفي الممارسة والشيء. يبرز ذلك لما تتحول علاقات اعتباطية هي علاقات هيمنة إلى علاقات شرعية، وتتحول اختلافات الوقائع إلى تمايزات معترف بها رسمياً، منها يستخرج التفاضل وترسم الحدود والفواصل بين الأعوان طبقاً لما يملكون ومالا يملكون.

وهكذا تبقى المؤسسة التعليمية –في نظر بورديو- المؤسسة المثلى التي تستثمر بكثافة ترسانة الأشكال التقعيدية، فتؤيي اشتغالها بهالة من القواعد المعقدة والتي تعمل عبر طقوس مؤسستها على إنتاج التفاوت الاجتماعي وإعادة إنتاجه. فالحقل المدرسي أكثر الحقول إبداعاً للتفاوت الاجتماعي بل يعتبر هو سنده والمنظم. وبهذا تعيد المدرسة إعادة إنتاج شرعيتها عبر إنتاج المميزين اجتماعياً، أولئك الذين يرثون مزاياها كما لوأنهم يستحقونها وتسبغ عليهم شرعية ثقافية يقع استثمارها في علاقة سلطة.

الهوامش

1. Bourdieu p.1994.raisons pratiques.paris ed seuil
2. سلسلة عالم المعرفة عدد 44 اتجاهات نظرية في علم الإجماع د. عبد الباسط عبد المعط
3. شبل بدران،علم اجتماع التربية المعاصر،سلسلة المكتبة التربوية، دار المعرفة المصرية،2000
4. عبدا لرزاق الديلمي،الاعلام الجديد والصحافة الالكترونية، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان الطبعة
5. الاولى2011 ص212
6. دويدار الطاهر ، فنون المنوعات والتلفزيون،دار سنابل للكتاب القاهرة الطيعة الاولى2008 ص 44
7. مرجع اشير اليه سابقا
8. ديقيد سوارتز ،الثقافة والقوة : علم اجتماع بياربورديو ،ترجمة:محمد الحوراني،عمان، دار مجدلاوي، 2015م ط1
9. بيار بورديو وجان-كلود باسرون،إعادة الإنتاج: في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم،ترجمة :ماهر تريمش،مركز
10. بيير بورديو، العنف الرمزي:بحث في أصول علم الاجتماع التربوي،ترجمة نظر جاهل،بيروت، المركز الثقافي العربي،1994م
11. بيير بورديو ، مسائل في علم الاجتماع ، ترجمة : هناء الصبحي ، أبوظبي ، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة) 2012م
12. أحمد محمود عبدالمطلب، تكافؤ الفرص في التعليم العالي،دراسة ميدانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، تربية قنا، جامعة أسيوط،1982.
13. بيير بورديو ، أسباب عملية ، إعادة النظر بالفلسفة ، ترجمة أنور مغيث، بيروت، دار الأزمنة الحديثة، 1998م.
14. عبدالستار عداي،العنف الرمزي:الجذور السوسيوثقافية للتربية،مجلة فصول، مصر،ع65،2005
15. عبدالكريم بزاز ، علم اجتماع بيار بورديو ، أطروحة دكتوراة غير منشورة،جامعة منتوري ، قسنطينة
16. عدنان الأمين،التنشئة الاجتماعية وتكوين الطباع،المغرب، المركز الثقافي العربي،2005م